المحاضرة التاسعة: الصعلة والصعاليك في الشعر الجاهلي .

الصعلكة في اللغة : الصعلوك الفقير الذي لا يملك من المال ما لا يعينه على أعباء الحياة .

أما الصعلكة في الأدب : الصعاليك جماعة من الشعراء الفقراء أتخذوا من التجرد للغارات وقطع الطرق ونهب الأغنياء حرفة ومهنة لسدّ حاجاتهم وحاجة الفقراء المُعسرين من قبائلهم .

ويقسم الشعراء الصعاليك إلى ثلاث مجموعات هي :

- **المجموعة الأولى** : الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم وأعمالهم السيئة ، مثل : قيس بن الحدادية وأبي الطمحان القيني.
- **المجموعة الثانية** : أبناء الحبشيات من النساء في القبائل العربية ممن نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم بنسبهم لعار ولادتهم ، مثل : السُّليك بن السُّلكة وتأبط شرّاً والشنفرى .
- **المجموعة الثالثة** : المحترفون لمهنة الصعلكة المتخذون منها سبيلاً ومنهجاً في الحياة والعمل ، مثل الشاعر عُروة بن الورد العبسي الذي يُعرف بأمير شعراء الصعاليك .
- **سمات شعر الصعاليك وخصائصه الموضوعية والفنية في العصر الجاهلي:**

١. تتردد في أشعار الصعاليك في هذا العصر صيحات الجوع والفقر والعوز ، كما تموج أنفسهم بثورة عارمة على الأغنياء الأشحّاء الذين يبخلون على الفقراء بما عندهم من مال وفير وعيشة مترفة .

٢. تـأتي فـي أشـعار الصـعاليك فـي العصـر الجـاهلي مـا يتميـز بـه هـؤلاء الشـعراء ومـا تتطلبـه مهنـتهم مـنهم كصـفاتهم الشخصـية مثـل الشـجاعة والصـبر عنـد البـأس وشـدة المـراس ، وصـفاتهم الجسـدية كسـرعة الجـري حتـى ليسـمون بالعـدَّائين وتضـرب بهـم الأمثـال فـي شـدة العـدو فيقـال: (أعدى من السليك) و (أعدى من الشنفرى).

٣. عنـايتهم الكبيـرة والمطلقـة بـالحيوان ولاسـيما الخيـل والفـرس ، فلكـل صـعلوك مـن هـذه الصـعاليك فـرس خـاص بـه ويُعـرف باسـمه فلسـليك فـرس يسـمى النَّحَّـام ، وللشـنفرى فـرس يسـمى اليحمـوم ، ولعـروة بـن الـورد فـرس يسـمى القرمـل ، وكـانوا يغيـرون عليهـا أحيانـاً فـرادى وأحيانـاً فـي جماعات .

٤. التغنّـي بالمغـامرات والتفـاخر فيمـا بيـنهم بقطـع الصـعاب وصـولاً إلـى الهـدف المنشـود مهمـا كانـت صـعوبته ومهمـا كـان بعـده . وهـم يمتـدحون أنفسـهم بـالكرم علـى عكـس الاغنيـاء الـبخلاء ، ويصـفون أعمـالهم بـالبر للأقـارب والأهـل والترفـع عـن السـؤال المـذّل والشـعور بالكرامـة فـي الحياة. مثل قول شاعرهم أبي خِراش الهذلي :

وإنّي لأُثوِي الجوعَ حتى يملَّني فيذهبَ لم يدنسْ ثيابي ولا جِرمي

أردُّ شجاعَ البطنِ قد تعلمينه وأوثرُ غيري من عيالِكِ بالطـُّعمِ

٥. تـردُ المـرأة فـي أغـب شـعر الصـعاليك بصـورة اللائمـة العاذلـة التـي تلـوم زوجهـا (الشـاعر) علـى بـذل المـال علـى الفقـراء وهـم بحاجـة إليـه ، وهـو المتعـب الـذي تحمّـل أعبـاء جمـة فـي سـبيل الوصـول إليـه منهـا المخـاطرة بنفسـه وبعائلتـه والطـرد مـن القبيلـة والسـمعة السـيئة التـي عرفـت عـنهم .

وهـم مـن يتعرضـون للمـوت المؤكـد فـي كـل وقـت وفـي أي مكـان بسـبب هذه الحرفة أو بسبب هذه السمعة . كما في قول شاعرهم تأبط شرّاً :

عاذلتي إنَّ بعضَ اللومِ معنفةٌ وهل متـــــــاعٌ وإن أبقيتُهُ بـــاقِ

- **الشـاعر عـروة بـن الـورد العبسـي ...أنمـوذج شـعراء الصـعاليك فـي العصر الجاهلي :**

كـان أبـوه مـن أشـراف قبيلتـه وشـجعانهم وكـان لـه أثـرٌ بـارزٌ فـي شـعر داحـس والغبـراء . أمـا أمـه فكانـت مـن نهـد مـن قضـاعة وهـي عشـيرة وضـيعة لـم تعـرف بشرف ولا خطر .

كانـت ثورتـه علـى الأغنيـاء ثـورة مهذبـة فعـروة لـم يتحـول إلـى سـافك دمٍ ولا إلـى متشـرد وقبيلتـه لـم تخلعـه لكنـه اتخـذ مـن صـعلكته بابـاً مـن أبـواب المـرؤة والتعـاون الاجتمـاعي بينـه وبـين الفقـراء مـن قبيلتـه والضـعفاء فيهـا . ومـن أجـل ذلك لّقب عروة (عروة الصعاليك).

وعبّـر عـروة عـن ذلـك كلّـه فـي شـعره فهـو لا يغـزو للسـلب والنهـب وإنمـا يغـزو ليعـين الهُـلّاك والفقـراء والمرضـى والمحتـاجين والمستضـعفين ، وكـان يتخيـر فـي غاراتـه مَ عرفـوا بالبخـل والشـح ومـن لا يمـدون يـد العـون إلـى المحتـاجين فـي قبـائلهم . فكـان عـروة بحـقٍ أميـر شـعراء الصـعاليك وكـان ينمـاز بـالكرم والمـرؤة والتضـحية فـي سـبيل الفقـراء ولـذا قـال عنـه الخليفـة الأمـوي عبـد الملـك بن مروان : (من زعم أن حاتماً اسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد).

وفـي شـعر عـروة بـن الـورد معـانٍ إنسـانية رفيعـة فـي الكـرم والخُلـق ومحبـة الفقراء والمحتاجين ولا أروع من ذلك قوله :

وإنّي امرؤٌ عافي إنائي شِركةٌ وأنـــت امرؤٌ عافـي إنائـــــك واحدُ

أتهزأ مني أن سمنتَ وأن ترى بجســـمي شحوبَ الحق، والحقُّ جاهدُ

أفرّقُ جسمي في جسومٍ كثيرةٍ وأحســـو قراحَ الماءِ ، والمـــاءُ باردُ

ويعـرض لنـا عـروة بـن الـورد العبسـي صـورتين للصـعلوك فـي شـعره ، الصـورة الأولـى هـي صـورة الصـعلوك الخامـل الـذي يقتـات علـى فتـات مائـدة ، لا يهمـه أهلـه ولا عيالـه ولا قـوتهم وهـي صـورة ردئيـة سـلبية جـديرة بكـل ملامـة وبكـل ذمٍّ لمثل هذا العصلوك بين الصعاليك الآخرين ، في مثل قوله :

لحى الله صعلوكاً إذا جنَّ ليلُه مُصافي المُشاشِ آلفاً كلَّ مجـــزرِ

يعُدُّ الغِنى من دهرِهِ كلَّ ليلةٍ أصاب قِراها من صديقٍ مـــــيسَّرِ

ينامُ عِشاءً ثم يصبحُ قاعداً يحُثُّ الحصا عن جنبِهِ المتعـــــفرِ

يعينُ نساءَ الحيِّ ما يستعنَّه فيُضحي طليحاً كالبعيرِ المـــــحُسَّرِ

والصـورة الأخـرى التـي تـأتي فـي شـعر عـروة بـن الـورد فهـي صـورة الصـعلوك الجـدير بكـل ثنـاء وتشـجيع مـن الـزوج وغيـر الـزوج مـن الأهـل والأقـارب والقبيلـة في مثل قوله يصفه وما يريد للصعلوك أن يكون :

ولله صعلوكٌ صحيفةُ وجهِهِ كضوءِ شـــهابِ القابسِ المتنوَّرِ

مُطلَّاً على أعدائهِ يزجرونه بساحتِهِم زجرَ المـنيحِ المُـشهَّرِ

وإنْ بَعُدوا لا يأمنون اقترابَهُ تشوُّف أهلِ الغائبِ المتنـــظَّرِ

فذلك إن يلقَ المنيةَ يلْقها حميداً ، وأن يســـتغنِ يوماً فأجدرِ

فهـذا هـو الصـعلوك الـذي يعجـب بـه عـروة ، صـعلوك وجهـه مشـرقٌ بأعمالـه المجيدة ، لا يزال يطلُّ على أعدائه ويشرف عليهم فيظفر منهم بكل ما يريد.

والحـق أن عـروة كـان صـعلوكاً شـريفاً وأنـه اسـتطاع أن يرفـع الصـعلكة ، وأن يجعلهـا ضـرباً مـن ضـروب السـيادة والمـرؤة وبابـاً مـن أبـواب التضـامن الاجتماعي وما يطوي من برٍّ وإيثار وتقرّبٍ للفقراء....

- **المصادر العلمية للمحاضرة :**

- **تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي** : د. شوقي ضيف .

- **تاريخ الأدب العربي** : عمر فروخ (ج١).

- **تاريخ الأدب الجاهلي** : د. غازي طليمات ، عرفان الاشقر .

- **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي** : محمد هاشم عطية .

- **ديـوان عـروة بـن الـورد العبسـي – أميـر الصـعاليك**– ، دراسـة وتحقيـق : أسماء أبو بكر محمد .

- **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي** : د. يوسف خليف .

- **مختارات من الشعر الجاهلي** : أحمد راتب النفاخ .